Al-Adab Journal **Issue. No (153) (June) 2025**

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

Intellectual Origins of the Frankfurt School

Asst. Lect. Rania Salam Muhammad
raniah.salam@nahrainuniv.edu.iq
Department of Quality Assurance and University Performance/ Al-Nahrain University
Asst. Lect. Mohammed Hasan Fasil Azeez
mohammed.H@nahrainuniv.edu.iq
Department of Studies and Planning/ Al-Nahrain University

Copyright (c) 2025 **Asst. Lect. Rania Salam Muhammad, Asst. Lect. Mohammed Hasan Fasil Azeez**

DOI: https://doi.org/10.31973/p9x3qe62

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

The Frankfurt School is one of the most prominent contemporary Western philosophical schools that has spread. Because of its pioneers who influenced the school's philosophical production throughout its three generations. The importance of researching the intellectual origins of this school lies in the fact that it constituted an important turning point in the path of contemporary European thought, as it had a great and effective impact in formulating a critical theory that deals with sociology, philosophy, politics, and culture as overlapping and intertwined dimensions in the process of forming and studying social theories and cognitive and civilizational horizons. Which accompanied the developments and transformations witnessed by European society in the fields of economics and politics. The fame that the Frankfurt School gained, and the widespread of its ideas and their influence on Western intellectual and philosophical production, prompts the following question: What are the intellectual origins from which this school derived its fame and spread? The research assumes that there is a relationship of influence between the philosophies that were prevalent at the beginning of the emergence of the Frankfurt School, and its three generations are only a reflection of what those who assumed the leadership of this school believed in them and the ideas that dominated or influenced the trends that were subject to research, scrutiny and criticism. The most prominent findings reached by the two researchers are: The pioneers of the Frankfurt School from the first generation were influenced by the concepts of psychology and the results of its research, and employed them in their various studies. We find in the writings of these pioneers indications that the texts of the joint authorship of Horkheimer and Adorno (The Dialectic of Enlightenment) demonstrate the presence of the Freudian spectrum. In the thought of the pioneers of the Frankfurt Critical School.

key words: Frankfurt School, Marx, Freud, Horkheimer, Adorno.

Al-Adab Journal Issue. No (153) (June) 2025
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الأصول الفكرية لمدرسة فرانكفورت

م.م رانية سلام محمد
قسم ضمان الجودة والأداء الجامعي
جامعة النهرين

م.م محمد حسن فيصل عزيز
قسم الدراسات والتخطيط
جامعة النهرين

(مُلَخَّصُ البَحث)

تعد مدرسة فرانكفورت من أبرز المدارس الفلسفية الغربية المعاصرة التي انتشرت؛ بسبب روادها الذين أثْرُوا الإنتاج الفلسفي للمدرسة في مختلف أجيالها الثلاثة. وتكمن أهمية البحث في الأصول الفكرية لهذه المدرسة من كونها شكلت انعطافًا مهمًا في مسيرة الفكر الأوروبي المعاصر، إذ كان لها الأثر الكبير والفاعل في صياغة نظرية نقدية تتعامل مع السوسيولوجيا، الفلسفة، السياسة، الثقافة كأبعاد متداخلة ومتشابكة في عملية تكوُّن ودراسة النظريات الاجتماعية والآفاق المعرفية والحضارية التي رافقت التطورات والتحولات التي شهدها المجتمع الأوروبي في ميادين الاقتصاد والسياسة. إذ إنَّ الشهرة التي اكتسبتها مدرسة فرانكفورت، والانتشار الواسع لأفكارها وتأثيرها في الإنتاج الفكري والفلسفي الغربي، يدفع إلى طرح التساؤل الآتي: ما هي الأصول الفكرية التي استمدت منها هذه المدرسة شهرتها وانتشارها؟ ويفترض البحث أنَّ هناك علاقة تأثير بين الفلسفات التي كانت سائدة، في بداية نشأة مدرسة فرانكفورت، وما أجيالها الثلاثة إلا انعكاسًا لما يؤمن بها من تولى رئاسة هذه المدرسة والأفكار التي سيطرت أو أثرت على توجهات التي أخضعت للبحث والتدقيق والنقد. وأما أبرز النتائج التي توصل إليها الباحثان، هي: إنَّ رواد مدرسة فرانكفورت من الجيل الأول قد تأثروا بمفاهيم علم النفس ونتائج أبحاثه، وتوظيفها في مختلف دراساتهم، ونجد في مؤلفات هؤلاء الرواد إشارات أنَّ نصوص المؤلف المشترك لهوركهايمر وأدرنو (جدل التنوير) يوضح حضور الطيف الفرويدي في فكر رواد مدرسة فرانكفورت النقدية.

الكلمات المفتاحية: مدرسة فرانكفورت، ماركس، فرويد، هوركهايمر، أدرنو.

المقدمة

تعد مدرسة فرانكفورت من أبرز المدارس الفلسفية الغربية المعاصرة التي انتشرت؛ بسبب روادها الذين أثْرُوا الإنتاج الفلسفي للمدرسة في مختلف أجيالها الثلاثة. أصبحت هذه المدرسة اليوم أساسًا لأغلب النظريات والاتجاهات النقدية لتيار الحداثة، ولاسيما في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا وحتى في الأدب والفن والموسيقى، وكذلك متابعة مصادرها وتطورها المتشابكة وتبلور نظريتها النقدية منذ نشأتها.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

إذ إنَّ مدرسة فرانكفورت مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تولي الإشراف على المعهد من طرف جرونبرغ، جعل بعض الباحثين يعدون حقبة رئاسته للمعهد مرحلة أولى من مراحل المدرسة.

المرحلة الثانية: تولي ((ماكس هوركهايمر)) رئاسة المعهد عام ١٩٣١م، ويطلق عليها مرحلة النضج.

المرحلة الثالثة: وهي بعد تولي هتلر للحكم عام ١٩٣٣م، أو حقبة المنفى من ألمانيا ونشاط المدرسة في سويسرا وفرنسا والولايات المتحدة الأميركية ويطلق عليها مرحلة إعادة التركيز. إذ يوزع هابرماس نمط الفكر التواصلي في هيئات ثلاث: العقلانية والتأكيد على أخلاقيات النقاش وفكرة وجود مجتمع ديمقراطي بحق.

أولًا: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الأصول الفكرية لهذه المدرسة من كونها شكلت انعطافًا مهمًا في مسيرة الفكر الأوروبي المعاصر، إذ كان لها الأثر الكبير والفاعل في صياغة نظرية نقدية تتعامل مع السوسيولوجيا، الفلسفة، السياسة، الثقافة كأبعاد متداخلة ومتشابكة في عملية تكوُّن ودراسة النظريات الاجتماعية والآفاق المعرفية والحضارية التي رافقت التطورات والتحولات التي شهدها المجتمع الأوروبي في ميادين الاقتصاد والسياسة.

ثانيًا: إشكالية البحث:

إنَّ الشهرة التي اكتسبتها مدرسة فرانكفورت، والانتشار الواسع لأفكارها وتأثيرها في الإنتاج الفكري والفلسفي الغربي، يدفع إلى طرح التساؤل الآتي: ما الأصول الفكرية التي استمدت منها هذه المدرسة شهرتها وانتشارها؟

ثالثًا: فرضية البحث:

يفترض البحث أنَّ هناك علاقة تأثير بين الفلسفات التي كانت سائدة، في بداية نشأة مدرسة فرانكفورت، وما أجيالها الثلاثة إلا انعكاسًا لما يؤمن بها من تولى رئاسة هذه المدرسة والأفكار التي سيطرت أو أثرت على توجهات التي أخضعت للبحث والتدقيق والنقد.

رابعًا: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. عرض نشأة مدرسة فرانكفورت.
٢. معرفة الأفكار والفلسفات التي وجهت مدرسة فرانكفورت في كل جيل من أجيالها.
٣. معرفة ماهية الأسلوب الذي تعامل به مفكري هذه المؤسسة تأثرًا وتأثيرًا في تلك الأفكار والفلسفات.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

توطئة: نشأة مدرسة فرانكفورت

شكل معهد الأبحاث الاجتماعية الذي تأسس بجامعة فرانكفورت بقرار من وزارة التربية بتاريخ ٣/ ١١/ ١٩٢٣م وافتتح رسميًا في يونيو ١٩٢٤م النواة التنظيمية الأولى لمدرسة فرانكفورت، (معهد الأبحاث الاجتماعية)، التي كان (جرلاش) قد اقترح منذ ١٩٢٢م إنشائها (لوران، ١٩٩٩، ص٧).

كانت مدرسة فرانكفورت تشكل تجمعًا فريدًا من نوعه يضم مفكرين يساريين متعددي التخصصات، وتميزت بتأثيرها البارز في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية خلال القرن الماضي. لم يقتصر دور أعضاء المدرسة على البحث والنظريات فحسب، إنَّما شمل أيضًا الاهتمام بالجوانب التنظيمية اليومية، إذ لم ينظروا إليها على أنَّها مجرد واجبات عمل انفصالية، إنَّما رأوها كمكونات لا غنى عنها في بناء نظريتهم الجدلية حول المجتمع والتنظيم التي أصبحت معروفة باسم ((النظرية النقدية)) (Cluley, 2022, p.١).

ويرجع الفضل في تأسيس هذا المعهد إلى (فليكس ج. فايل وفريدريك بولوك وماكس هوركهايمر)، ولقد قام ((فليكس فايل)) بالتعاون مع والده ((هيرمان فايل)) بتمويل المعهد ماليًا من حيث إعداد المبنى اللائق، والالتزام بمرتبات العاملين فيه. في سبتمبر ١٩٢٢م أصدر ((فليكس فايل))، بيانًا بشأن ميلاد المعهد الجديد (حماد، ٢٠٠٣، ص١٠٠). وكانت نشأة المعهد بمبادرة من (فليكس فايل)، الذي نظم (أول أسبوع عمل ماركسي) في (ايلمونو) (تورينغ)، خلال صيف ١٩٢٢م، وقد شارك فيه على الأخص لوكاش وكورش وبولوك وفيت فوجل، وولدت هناك فكرة مؤسسة على شكل معهد مستقل للأبحاث يستفيد من هبة هيرمان فايل (والد فليكس فايل)، ومن عقد مع وزارة التربية. ففليكس فايل يعد أول من فكر في خلق كوادر أكاديمية لمتابعة البحوث في الفكر الماركسي والنظرية النقدية فيه لتجديد طاقتها الراديكالية (لوران، ١٩٩٩، ص٨). وكذلك نجد من المتحمسين لتأسيس معهد دائم من أجل القيام بالدراسات الماركسية والسياسية والسوسيولوجية، ((فريديريك بولوك)) الصديق الحميم لـ ((فايل)).[١]

---

[١] ولد عام ١٨٩٤م في مدينة فريبورغ الألمانية، وهو ابن رجل أعمال غني كان يرغب بأنْ يوجه ابنه للعمل في التجارة والشؤون المالية، ولذلك درس بولوك الاقتصاد، ولكنه ما لبث أنْ توجه للاهتمام بالشؤون الفكرية والسياسية، فدرس مع الاقتصاد العلوم السياسية في جامعات ميونيخ وفريبورغ، ثم جامعة فرانكفورت التي تحصل منها على درجة الدكتوراه في الاقتصاد عام ١٩٢٣م حول موضوع ((نظرية العملة عند ماركس)) وقبل الحرب، وفي عام ١٩١١م تعرف بولوك إلى شخص هام ربطته به علاقة صداقة حميمة هو ((ماكس هوركهايمر)) الذي أصبح بعد ذلك من أوائل المتحمسين لفكرة إنشاء المعهد ومساندًا لـ ((بولوك)) في دعم ((فايل)) في إنشاء مؤسسة أكاديمية للبحوث الاجتماعية. للمزيد ينظر: علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هبرماس، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط١، د.ت، ص٤٦.

وقد واجه المعهد في وقت تأسيسه مشكلة رئاسة المعهد؛ لأنَّ اللوائح كانت تشترط من يتولى رئاسة المعهد أنْ يكون حائزًا على درجة الأستاذية، وهذا ما كان يفتقر إليه المؤسسون الثلاثة (فايل، بولوك، هوركهايمر)؛ لذلك فلم يكن أيًا من المفكرين الثلاثة مؤهلًا لتمثيل هذا الدور، ومن ثم فقد اقترح فايل ترشيح (ألبرت جيرلاخ) كمدير للمعهد، إلا أنَّ جيرلاخ مات فجأة في أكتوبر ١٩٢٢م قبل أنْ يتولى مهام منصبه الجديد. من هنا فقد اتجه فايل إلى التفاوض مع (كارل جرونبرغ) (١٨٦١ –-١٩٤٠م)، وتم الاتفاق بين الجميع وأصبح جرونبرغ مديرًا رسميًا للمعهد في عام ١٩٢٣م (حماد، ٢٠٠٣، ص١٠٠-١٠١).

لقد ترأس كارل جونبرغ أستاذ القانون والعلوم السياسية في جامعة فيينا رئاسة المعهد كأول مدير له، وكذلك المؤسس والناشر لمجلة العمل وتاريخ الاشتراكية من سنة ١٩٢٣م إلى سنة ١٩٢٩م، وكان مقام المعهد في مساكن فرانكفورت الجامعية (لوران، ١٩٩٩، ص٨).

إنَّ تولي الإشراف على المعهد من طرف جرونبرغ، جعل بعض الباحثين يعدون حقبة رئاسته للمعهد مرحلة أولى من مراحل المدرسة، إذ »تميزت تلك المرحلة بسمة ماركسية واضحة، وقد ظهر هذا بداية من المحاضرة التي ألقاها (جرونبرغ) في افتتاحه للمعهد، إذ أظهر نوعًا من التعاطف مع المنظور الماركسي، وصرح بمعارضته للنظام الاجتماعي الاقتصادي القائم وبانتمائه الفكري للماركسية، إلا أنَّه لم ينس أنْ يؤكد على أنَّ التوجه الماركسي لا يجب أنْ يفهم بأي معنى سياسي حزبي، ولكن فقط بالمعنى العلمي الأكاديمي« (حماد، ٢٠٠٣، ص١٠١).

إنَّ العمل الأخير المتميز في حقبة رئاسة (جرونبرغ) هو لـ كارل أوجست فيتفوجل الذي نشر عام ١٩٣١م وموضوعه ((الاقتصاد والمجتمع في الصين))، وقد ركز فيتفوجل في هذا البحث على مشكلات البناء الفوقي بما تتضمنه من قضايا الايديولوجيا والوعي الطبقي (حماد، ٢٠٠٣، ص١٠١-١٠٣). وقد تركزت اهتمامات المعهد في الحقبة التي تولى فيها جرونبرغ الإشراف عليه حول موضوعات ستة، وهي:

١.المادية التاريخية والأساس الفلسفي للماركسية، ٢.الاقتصاد السياسي، ٣.مشكلات الاقتصاد المخطط، ٤.مهام البروليتاريا، ٥.علم الاجتماع، ٦.تاريخ المذاهب والأحزاب الاشتراكية.

هناك أدبيات كبيرة ومثيرة للإعجاب تركز على مدرسة فرانكفورت، ومعهد البحوث الاجتماعية، وأعضائها البارزين مثل أدورنو، وفروم، وهوركهايمر، وماركوز. هذه الشخصيات والتواريخ الرائد قد وصفت وتحللت في العديد من الدراسات الواسعة النطاق. إذا

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

كانت المؤلفات السابقة قد تركزت على تاريخ المعهد أو حياة أعضائه، فإنَّ هناك العديد من الأعمال العلمية تركز على المحتوى والأهمية النقدية للنهج المتأثر بالماركسية الغربية الذي ابتكروه واعتنقوه، والمعروف بالنظرية النقدية. لذا، يمكن أنْ يكون الكتابة عن هؤلاء المفكرين وفكرهم مفيدًا لاستكشاف وتحليل هذه النظريات والنهج الفكري.(Jacobs, 2015, p.1)

لقد انتهت المرحلة الأولى عام ١٩٢٩م عندما جاوز البروفيسور ((جرونبرغ)) الستين وساءت حالته الصحية، قرر التنازل عن منصب إدارة المعهد وبقية المناصب الأكاديمية الأخرى التي كان يشغلها كأستاذ متخصص. وبذلك وجد المعهد نفسه من جديد يواجه مشكلة اختيار رئيس له، وقد عرض المنصب على بولوك، لكنه اعتذر لتفضيله أنْ يكون مسؤولًا عن القضايا الإدارية للمعهد عن أنْ يكون رئيسًا له. إما فليكس فايل فقد آثر أنْ يبقى عمله محصورًا فيما يتعلق بالتمويل والميزانية المالية للمعهد، وفي هذه الحالة لم يتبق سوى هوركهايمر الذي بدأ كمرشح وحيد بلا منازع لاحتلال المنصب الجديد (حماد، ٢٠٠٣، ص١٠٤).

تولى هوركهايمر سنة ١٩٣٠م إدارة المعهد، وأيضًا أسس مجلته ((مجلة البحث الاجتماعي))، فضلًا عن إشرافه على تحريرها لمدة عقد من الزمن. وعند استيلاء النازيين على السلطة في عام ١٩٣٤م هاجر إلى سويسرا ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وفيها أقام معهد البحث الاجتماعي في جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك مع بعض من أعضاء المعهد الذين هاجروا معه. في الوقت نفسه اشترك هوركهايمر مع أدورنو على تأليف أحد أهم مؤلفاتهم الذي يعبر عن النظرية النقدية وهو ((جدل التنوير)). وبعد سقوط النازيين وانتهاء الحرب العالمية الثانية رجع هوركهايمر إلى ألمانيا، وبدأ بمزاولة مهامه في جامعة فرانكفورت في عام ١٩٤٩م، ومن ثم أعاد تأسيس المعهد وإدارته حتى سنة ١٩٥٨م (مكاوي، ٢٠١٧م، ص٤١).

إلى جانب اهتمام مرحلة هوركهايمر بالجانب الفلسفي، إذ قد تميزت بالاهتمام المتزايد بالأبحاث السيكولوجية ولاسيما التحليل النفسي الفرويدي الذي جيرى مزجه بالفكر الماركسي. ففي عام ١٩٣٢ قام هوركهايمر بكتابة مقال عن ((التاريخ وعلم النفس)) نشره في الطبعة الأولى لجريدة المعهد، وفي هذا المقال يؤكد على أنَّ علم النفس الفردي ذو أهمية كبيرة في فهم التاريخ (حماد، ٢٠٠٣، ص١٠٥).

إنَّ الطابع الجديد الذي اتسمت به مدرسة فرانكفورت مع إدارة ((هوركهايمر))، لا يعني انَّ تغير النظرة تم دفعة واحدة، إنَّما كان ضربًا من التطور التدريجي، فلقد حافظ هوركهايمر على كثير من افتراضات سلفه الماركسية ولكن مع إدخال تغييرات دقيقة عليها، وفي خطابه

الافتتاحي، وبخلاف خطاب جرونبرغ، لم يقل إنَّ ((كل تعبير من تعابير حياة المجتمع)) هو انعكاس لحالة الحياة الاقتصادية، إنَّما قلب هذا الزعم بما قل ودل، داعيًا مثل هذه النظرة، ماركسية رديئة، من دون أنْ يذكر اسم جرونبرغ بهذا الصدد. فقد أعلن أنَّه من الخطأ أنْ نعتقد أنَّ الأفكار أو المضامين الروحية تقتحم التاريخ وتحدد فعل الكائنات البشرية، وأنَّ من الخطأ أنْ نعتقد أنَّ الاقتصاد هو الواقع الحقيقي الوحيد (آلن، ٢٠١٠، ص٣٦).

أراد هوركهايمر أنْ ينفتح المعهد في عصره على آفاق معرفية أخرى كالفرويدية والظاهراتية، وعلى مزيد من الاهتمام بالجوانب الثقافية والأيديولوجية، اتساقًا مع التغيرات الاجتماعية التي انتابت ألمانيا وأوروبا والغرب خلال تلك الحقبة، وهو ما يشير إليه ((مارتن جاي)) بقوله: إنَّه »إذا كان من الممكن الحديث بأنَّ المعهد قد اهتم أساسًا خلال سنوات تكوينه الأولى بتحليل البنى الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع البرجوازي، فقد وجه اهتمامه بعد عام ١٩٣٠ إلى بناه الفوقية الثقافية« (بوتومور، ١٩٩٨، ص١٧-١٨).

وشهدت المرحلة السابقة بعض الإسهامات العلمية، وكذلك شهدت المرحلة التي تولى فيها هوركهايمر رئاسة المعهد بروز عدد من الإسهامات، وكان من أول هذه الإسهامات الدراسة التي قام بها ((فرانز بوركينا)) حول ((التحول من النظرة الإقطاعية للعالم إلى النظرة البرجوازية)). أما العمل الثاني المتميز في تلك الحقبة كان حول ((دراسات في السلطة والأسرة)) والكتاب عبارة عن دراسة تحضيرية لدراسة أخرى ظهرت عام ١٩٥٠م تحت عنوان ((الشخصية المتسلطة))، ولقد اهتمت الدراسة الأولى بتحليل الأسس السيكولوجية للسلطة، واستهدفت تقديم تفسير ملائم لصعود التيار الفاشي وازدهاره في دول أوروبا (حماد، ٢٠٠٣، ص١٠٥-١٠٦).

مثل العديد من المجموعات الأخرى في أوروبا الوسطى، كانت دائرة هوركهايمر من العلماء المهاجرين غير الراغبين في في مغادرة ألمانيا في ظل حكم هتلر. استقروا في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٤م، وعبروا عن مسار غير مؤكد من الانعزالية إلى الاستيعاب، مما أدى إلى ظهورهم كظاهرة فكرية، وما عُرف لاحقًا بمدرسة فرانكفورت. وعلى الرغم من التركيز الكبير على التاريخ الفكري والمؤسسي لمعهد الدراسات الاجتماعية، فإنَّ التفاعلات بين أعضاء دائرة هوركهايمر والمجتمعات البحثية والقراء الأمريكيين لم تكن موضوعًا رئيسًا للدراسة. على الرغم من حلم هوركهايمر وأعضاء دائرته بمستقبل من ((العزلة الرائعة))، فإنَّ الظروف والضرورات في المنفى الأمريكي استدعت نمطًا مختلفًا تمامًا من الوجود. في ظل السوق الأكاديمية الصعبة خلال وقت الكساد والحرب، واجهت المجموعة تشجيعًا قويًا من مضيفيهم الأمريكيين، وكانت الدبلوماسية الدقيقة ضرورية في

كثير من الأحيان. وعلى الرغم من الحلم بالعمل بمفردهم دون تشتت الانتباه، فإنَّ التحديات والشكوك التي ترافق تجربة المهاجرين لم تجعل الوضع سهلًا (Wheatland, , 2009, p.Xvi).

ومدرسة فرانكفورت لها تسميات متعددة، الأمر الذي أدى إلى بروز لبس في معرفة أي تسمية يمكن أنْ تعبر عن حقيقة المدرسة، ومما يزيد من صعوبة هذه المهمة »تلك التسميات العديدة التي أطلقت على هذه المدرسة، من مثل: النظرية النقدية إشارة إلى مجموعة أعضائها من المثقفين الألمان الذين اتخذوا من الفلسفة النقدية رؤية لهم، والماركسية الأوروبية تمييزًا لفكرها عن التفسيرات التي قدمها منظرو الأممية الثانية والثالثة للماركسية، وفكرة الهجرة، ومدرسة فرانكفورت وهو الاسم الذي أطلقوه عليها بعد عودتها من المهجر« (بوتومور، ١٩٩٨، ص١٤). إنَّ مدرسة فرانكفورت هي اليوم، التسمية الأكثر شيوعًا والأغلب على الاستعمال للدلالة على تلك المجموعة من المفكرين، أمثال هوركهايمر وأدورنو وماركيوز وهابرماس، الذين قدموا أعمالًا نظرية مشتركة، وكانوا (عدا هابرماس) ينتمون في الأصل، إلى ما يسمى بمركز الأبحاث الاجتماعية (الخوني، ٢٠١٦، ص٣١). ومما يدل على مشكلة التسمية هذه، هو عدم التمييز عند الحديث عن المدرسة بين تسمية مدرسة فرانكفورت وتسمية مركز البحوث الاجتماعية بالنسبة للحقبة التاريخية السابقة على سنة ١٩٣٣م، وأنَّ »فكرة مدرسة لم تصغ إلا بعد أنْ أرغم المركز على مغادرة فرانكفورت، وعبارة ((مدرسة فرانكفورت)) نفسها لم تستعمل إلا بعد عودة المركز إلى ألمانيا سنة ١٩٥٠م« (الخوني، ٢٠١٦، ص٣٢).

إنَّ تباين الظروف الخارجية المتفاوتة لتاريخ المعهد يجعل من الأفضل تجنب استعمال مصطلح ((مدرسة فرانكفورت)). وهناك نقطتان تدعمان هذا الرأي. أولًا: دور هوركهايمر، على الرغم من كونه ((شخصية كاريزمية))، بدأ يلعب دورًا أقل حسمًا مع مرور الوقت، وأصبح أقل ملائمة لتمثيل المدرسة. ثانيًا: على الرغم من الارتباط التاريخي بين هوركهايمر وأدورنو، فإنَّهما كانا يعملان في مجالات مختلفة وكانت لهما توجهات متباينة (Wiggershaus, 1994,p .3).

من الواضح أنَّ التسمية تأثرت بالانتقال من ألمانيا إلى المنفى، فهل أثرت حالة المنفى والابتعاد عن الوطن الأم من إسهامات رواد مدرسة فرانكفورت الفكرية؟ إنَّ هجرة أعضاء المعهد إلى الولايات المتحدة الأمريكية قد أثرت بشكلٍ أو آخر في أعمالهم. لذلك فإنَّهم مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، وغروب النظم الفاشية والنازية بدأوا تحليلًا جذريًا للمجتمع الرأسمالي، الذي رأوا نمط صعوده الجديد في الولايات المتحدة، ولاسيّما مع تنامي (المعجزة

الاقتصادية) التي كونت رأسمالية قوية، حالت دون فعالية الطبقة العاملة في تحقيق أهدافها، وهذا ما يفسر توجه بحوث المعهد هناك إلى قضايا عديدة في هذا المجتمع، كقضية السيطرة الشاملة، والقضاء على قيمة الفردية، والقهر التقني، وصناعة الثقافة (بوتومور، ١٩٩٨، ص١٨).

إنَّ المنفى لم يقلل من شأن أو فعالية النشاط الفكري لأعضاء المعهد، ففي حقبة الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات شهدت درسات عدة هامة شكلت في مجموعها ما نسميه اليوم بـ ((النظرية النقدية)). ومن أبرز هذه الدراسات، الدراسة التي نشرها هوركهايمر عام ١٩٣٧م بعنوان ((النظرية التقليدية والنظرية النقدية))، وفي العام نفسه نشر ماركيوز دراسة تحت عنوان ((الفلسفة والدراسة النقدية)). وفي عام ١٩٤١م نشر ماركيوز باللغة الإنكليزية أهم كتبه ((العقل والثورة))، وفي العام نفسه نشر هوركهايمر كتابه ((خسوف العقل)). وفي عام ١٩٤٢م ظهر كتاب فروم ((الخوف من الحرية))، وفي عام ١٩٤٤م أصدر هوكهايمر بالاشتراك مع أدرنو كتابًا هامًا هو ((ديالكتيك التنوير)) (حماد، ٢٠٠٣، ص١٠٧). إنَّ هؤلاء المفكرين يحتلون مكانة هامة في الحياة الفكرية الألمانية، ويحتلون بقوة جزءًا من النقاشات الثقافية والسياسية في الساحة الفكرية الألمانية لاسيما والغربية عامة. ويمكننا الاعتراف بأنَّ نشأة مدرسة فرانكفورت كانت صعبة للغاية، وذلك بالرجوع إلى الظروف الصعبة التي اكتنفت هذه النشأة.

تبدو فلسفة كانط النقدية من أبرز الفلسفات الكلاسيكية، ومهما قال المؤرخون في حق تأثيرها في التطورات اللاحقة للفلسفة الغربية، فإنَّهم لن يوفونها حقها كاملًا. فهي تسيطر على القرن التاسع عشر الميلادي، وهي أيضًا تقف موقف المنبع من تيارات الفكر الكبرى في هذا القرن في الحضارة الغربية (بوشنسكي، ١٩٧٨م، ص٢٧). فضلًا عن أنَّ الفيلسوف الألماني كارل أوتو آبل الذي يعود إلى الايتيقا الكانطية في صياغته لنظرية حول ايتيقا الحوار. وقبل أنْ يشاطره يورغن هابرماس المهمة نفسها، كان قد طرح على نفسه عملًا ابيستمولوجيًا تمثل في إعادة بناء نظرية المعرفة الكانطية على ضوء الإنجازات الفلسفية التي حدثت بعد الفلسفة النقدية وإلى حدود انتشار الفلسفة الوضعية على تحوٍ كوني (الخوني، ٢٠١٦، ص١٠-١١).

إذ إنَّ إثبات فلسفة كانط النقدية كانت من الأسس التي قامت عليها مدرسة فرانكفورت النقدية لاسيّما في جيلها الأول، أي أنَّ رواد الجيل الأول هوركهايمر وأدورنو قد تأثرا في صياغة مشروعهما الفلسفي والاجتماعي بفلسفة كانط عامة أو على الأقل بروح النقد لديه. وبالإشارة إلى الأثر الماركسي في رواد مدرسة فرانكفورت، فإنَّ »النظرية النقدية في سياق

صياغتها لأسئلتها وأساليب محاكمتها للوضعية ولنتائج الحداثة، لم تكف عن محاورة المتن الفلسفي الألماني، غير أنَّ كانط وهيغل كانا أكثر الفلاسفة عرضة للنقد. صحيح أنَّ دراساتهم لم تقتصر على هذين الفيلسوفين، لكن نسقي كانط وهيغل وفرا لأصحاب النظرية النقدية انفتاحات متعددة للتفكير والتأمل (نور الدين، ١٩٩٨م، ص٢٤).

إنَّ النظرية النقدية مدينة بالكثير إلى فلسفة كانط وذلك عبر جميع مراحل تطورها، فالحضور المستمر لكانط في مؤلفات فلاسفة مدرسة فرانكفورت يؤكد عظمة كانط، الفيلسوف الذي يعد المرجعية الثابتة للفلسفة الحديثة. وهذا هو ما جعل فلاسفة النظرية النقدية أنفسهم – وهم يعدون أنفسهم على الدوام ورثة المثالية الكلاسيكية الألمانية – في حوار معه متواصل إلى أيامنا هذه (الخوني، ٢٠١٦، ص٣٣٩).

الأثر الهيغلي في فلسفة مدرسة فرانكفورت

يستشف هذا التأثير من الدرس الافتتاحي الذي ألقاه هوركهايمر بمناسبة تعيينه مديرًا لمركز البحوث الاجتماعية الذي أكد فيه بأنَّ الفلسفة الاجتماعية تستمد وجودها مباشرة من تجربة الوعي الفينومينولوجي الهيغلية (الخوني، ٢٠١٦، ص١٤). إنَّ لفلسفته حضورًا قويًا في بلورة الفكر الفلسفي لمدرسة فرانكفورت النقدية في جيلها الأول.

إنَّ هذا الحضور لفلسفة هيغل في فكر المدرسة إذ »إنَّ فلاسفة النظرية النقدية، ولاسيما أدورنو، جعل الإشكالية الفلسفية تدور بين نسقي كانط وهيغل، لقد حاوروا كل الفلاسفة الألمان، لكن كانط وهيغل شكلا أهم متن فلسفي انطلقت منه النظرية النقدية لتجربة وممارسة نقدها« (نور الدين، ١٩٩٨م، ص٢٥). وفي الوقت نفسه »أنَّ هوركهايمر وأدورنو وماركوز وآخرين، كل واحد على حدة، وفي دراساتهم المتعددة جعلوا من الفلسفة الهيغلية محور نقدهم لكل فلسفة« (نور الدين، ١٩٩٨م، ص٢٧).

إما في خصوص الجدل الهيغلي، إنَّ هوركهايمر يقول: »إنَّما الجدل هو الذي ينهي إلى الفهم، إلى الاختلاف، طبيعته المتناهية والمظهر الزائف الذي هو استقلالية نتاجاته وهو الذي يعيده إلى الوحدة« (هوركهايمر، ٢٠٠٦، ص٦٢). وقد أفرد في الوقت نفسه في هذا كتابه ((بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية)) عنصرًا خاصًا عنونه بـ ((هيغل ومشكلة الميتافيزيقا)) الذي أبرز فيه تفسير هيغل لمشكلة الميتافيزيقا، ويبدأ هذا المبحث بعبارة مشهورة لهيغل ذكرها في مقدمة مؤلفه ((فلسفة الحق)) وتتمثل في قوله: »كل ما هو عقلاني هو واقعي، وكل ما هو واقعي عقلاني« (هوركهايمر، ٢٠٠٦، ص٩٥)، فمؤلف هوركهايمر ورد فيه مضامين تبرز حضور فلسفة هيغل في هذا المنتج الفكري له.

يذهب هوركهايمر إلى التأكيد على أهمية هيغل مؤيدًا لأدورنو، فيقول: »إنَّ هذا التجريبي الكبير، الذي استبق فهمه للوقائع التاريخية والسوسيولوجية والنفسية نتائج هامة تم التوصل إليها بفضل العمل المنهجي وطيلة قرن بأكمله، ولا يزال بإمكانه اليوم أيضًا أنْ يوجه البحوث« (هوركهايمر، ٢٠٠٦، ص٩٦).

هناك حضور مفاهيم مهمة لدى هيجل ضمن جدلية الفكر الحديث الذي كانت لديه مفاهيم الذات والوعي والتقدم حاضرة، وقد كانت هذه المفاهيم تعرضت للتلقي وإعادة التوظيف بشكلٍ يتفق مع حاجات المدرسة، فظهرت المفاهيم المؤثرة مثل: الجدل، والاغتراب، والاعتراف. وحضورها هو كأثر في تلك النصوص النقدية لدى ممثلي المدرسة (المحمداوي ومهنانة، ٢٠١٢م، ص٤٣٧). وهذه المفاهيم قد جاءت مؤثرة في فكر المدرسة لكن بأشكال متفاوتة ظاهرة وخفية منها ((الجدل والتشيؤ والنقد))، فقد جاء بعضها بشكلٍ مباشر والآخر عبر تأويلات ((ماركس)) و((جورج لوكاش)) لكن استعمال الجيل الأول لمفهوم التشيؤ على نحوٍ وفر لهم أداة ماضية إلى أبعد الحدود في تفحص تقلبات الحياة في مجتمع استهلاكي حديث، هنا يظهر التأثير أو التداخل النصي بين هيغل والمدرسة في الجيل الأول (المحمداوي ومهنانة، ٢٠١٢م، ص٤٤٥).

إنَّ الأثر الهيغلي على الجيل الأول يتمثل بشكلٍ أساسي في عظمة المنهج الجدلي، الذي جعلته المدرسة أكثر ديناميكية عن طريق رؤيتها النقدية التي ربطت بواسطتها الجدل بالواقع الاجتماعي، وهو ما مكن فلاسفتها من اكتشاف جملة التناقضات الكامنة في الظواهر المدروسة، فتمكنوا من رفض النزعة الوضعية التي تشيؤ عالم الإنسان، ومن ثم تجعله يشعر بالاغتراب.

الأثر الماركسي في فلسفة مدرسة فرانكفورت:

تعد مدرسة فرانكفورت النقدية من أهم المدارس التي انتعشت في حقبة الحداثة بألمانيا، وإنْ كانت هذه المدرسة قد تبلورت في حقبة مبكرة، في ثلاثينيات القرن العشرين، إلا أنَّه في هذا الوقت التي كانت فيها المدرسة تحت اسم معهد الدراسات الاجتماعية قام على أساس كونه معهدًا للدراسات الماركسية، وكانت مهمة المعهد تنحصر في تعبيد الطريق أمام البحث النظري للمساهمة في الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية (مصدق، ٢٠٠٥م، ص٢٧).

إنَّ مدرسة فرانكفورت قد ارتبطت في مرحلتها الأولى المتميزة بالماركسية وبالأحزاب الشيوعية والاشتراكية، وبمعهد ماركس وانجلز بموسكو، وذلك طوال حقبة العشرينيات من القرن الماضي (الزواوي، ٢٠٠٩، ص٢٠٩). إنَّ ارتباطها بالماركسية لا يعني وفاء روادها الكامل لهذا الفكر الماركسي، إنَّما كان لهم مواقف نقدية منه، وهذا يعني أنَّ مدرسة

فرانكفورت في مسار تطورها التاريخي وابتداءً من ١٩٣١م غيرت توجهها، وذلك عندما تولى إدارة المعهد هوركهايمر الذي ركز على علم الاجتماع والفلسفة بدلًا من التاريخ والاقتصاد السياسي، وطور أبحاثًا لغرض تجديد الماركسية (الزواوي، ٢٠٠٩، ص٢٠٩-٢١٠).

والاتجاه الذي تبنته المدرسة هو ما عبر عنه عضوها الذي ينسب إليها تأسيسها، أي هوركهايمر، في مقالة نشرها عام ١٩٣٧م بعنوان (النظرية التقليدية والنقدية). وتتلخص الأطروحة في تبني »ماركسية نقدية منفتحة ومحصنة ضد المتغيرات التاريخية للممارسة السياسية« (اليازجي، ٢٠٠٧م، ص٣٠٩-٣١٠). وفي هذا الدرس انتقد هوركهايمر موضوع الحياد العلمي المتمثل في النظرية التقليدية، وفي الوقت نفسه حاول إثبات أنَّ العالم/ المثقف مندرج ومنخرط في المجتمع، وأنَّه بهذه الصفة يمكن أنْ يكون مدافعًا ومناصرًا لمصالح فئة معينة، وأنَّ موقفه ومنزلته الاجتماعية تمكنه من إلباس القناع للمصلحة أو تضمينها خلف الفكرة القائلة بالحياد العلمي أو المعرفة من أجل المعرفة. فالنظرية التقليدية في نظره تعرض نسقًا من التوكيدات مترابطًا من الوجهة المنطقية، وهو النسق الذي قدم له ديكارت في بداية الحقبة الحديثة نموذجًا ظل مقبولًا دون تغيير من حيث المبدأ، حتى ظهور النظرية الوضعية المعقدة للعلم. بيد انَّ هذا ينبغي أنْ يحل محله (موقف نقدي) و(النظرية النقدية المعارضة) تتبدى في النشاط الذي يمارسه الاحتجاج والمعارضة الدائمين الأساسيين لظروف الحياة العامة (بوبنز، د.ت، ص٢٤٢). وعن طريق النظرية التقليدية والنظرية النقدية يتضح التوجه النقدي الراديكالي لمدرسة فرانكفورت في حقبة هوركهايمر، ولقد تحول من كونه ممثلًا لاتجاه اجتماعي علمي تقدمي إلى ناقد راديكالي للنظم الليبرالية المثقلة بالبيروقراطية، ويرى أنَّها تتجه بالحضارة المعاصرة إخفاق ضخم تحت لواء الرأسمالية (بسطويسي، ١٩٩٣م، ص٤١).

لقد أعدت الماركسية: »أنَّ بعض الطبقات التي تملك وسائل الإنتاج تهيمن بالضرورة على قوى الإنتاج الأخرى التي تحرم من حق الملكية الخاصة. غير أنَّ ظهور قوى جديدة منتجة ومالكين جدد لقوى الإنتاج، يساهم في إدخال المجتمع في تناقضات مع العلاقات الاجتماعية السابقة. الأمر الذي يؤدي لا محالة إلى تغييرها في اتجاه جديد للهيمنة تحدده الطبقات الصاعدة. لذلك يمكن القول بأنَّ التناقض الداخلي بين قوى الإنتاج الجديدة والعلاقات الاجتماعية القديمة مع ما يتبعها من صراع طبقي يخرج من رحمها، هو ما يفسر التحولات التاريخية لأنماط الإنتاج« (مصدق، ٢٠٠٥م، ص٤٦).

إنَّ الماركسية اجتهدت في فضح الممارسات الرأسمالية وانعكاساتها السلبية على المجتمعات البشرية الغربية خاصة، فإنَّها سعت إلى البحث عن التقعيد المعرفي للمجتمع الرأسمالي، إذ تكون فيه المنظومة المعرفية برمتها التي تتضمن الأشكال القانونية والدينية

وكل ما ينتمي إلى فضاء الفكر هو في جوهره نتيجة فوقية أو استجابة شرطية لمستوى التطور الاقتصادي في العالم السفلي، وهي تبعية حتمية، نظرًا لكون الوضع الاجتماعي هو الذي يحدد مستوى ودرجة الوعي وليس العكس (المحمداوي ومهنانة، ٢٠١٢م، ص٤٧٦). وهذا يعني أنَّ ماركس يرفض رفضًا باتًا أي أسبقية للفكر على المادة، وأي فكر قبلي يقوم على تمثيلات مستقلة عن التجربة التاريخية وبمعزل عنها. وما يصدق على عدم استقلالية القانون والسياسة المجتمعية، يصدق أيضًا على تلك الاستقلالية الوهمية والمزعومة للفكر عن الواقع وصيغ الوعي الاجتماعي (مصدق، ٢٠٠٥م، ص٤٦).

إنَّ العامل الاقتصادي هو الذي يؤدي الدور البارز في حدوث التغير المجتمعي: »ففي دراستنا للمادرية التاريخية رأينا أنَّ تاريخ المجتمعات يفسر بالترابط الأتي: الناس يصنعون التاريخ بأفعالهم التي هي تعبير عن إرادتهم، وهذه الإرادة تحددها الأفكار، رأينا أنَّ الذي يفسر أفكار الناس أي ايديولوجيتهم، هو الوسط الاجتماعي الذي تظهر فيه الطبقات، وهذه الطبقات تتحدد بدورها بفعل العامل الاقتصادي، أي في نهاية المطاف، بنمط الإنتاج« (بولتزر، ٢٠٠٥م، ص١٩٣).

وهذه الرؤية الماركسية لكيفية اشتغال حركية المجتمع على وفق المنهج المادي التاريخي، نجد أنفسنا على وعي بالكيفية التي برزت بها الرأسمالية والمظاهر المختلفة والممارسات الاقتصادية التي أفرزتها الرأسمالية في أثناء صعودها، وتحولها إلى نظام عالمي، بفضل حاجتها الملحة إلى مواد خام رخيصة وفي متناول الاستعمال، وبحثًا في الوقت ذاته على أسواق جديدة لكي تمتص الفائض الإنتاجي الذي لم يعد السوق الوطني الرأسمالي قادرًا على تصريفه داخليًا (المحمداوي ومهنانة، ٢٠١٢م، ص٤٧٦).

لقد ترتب عن تطبيقات الرأسمالية في المجتمعات الغربية انطلاقًا من تأسيسها على الملكية الفردية لوسائل الإنتاج جملة من المظاهر السلبية اجتهد كارل ماركس في تحليلها وبيانها ومن ثم انتقادها التي من أبرزها الاستغلال الذي تحول في ظل هيمنة الطبقة البرجوازية إلى ممارسة طبيعية، والذي تمظهر بمظاهر مختلفة كالاغتراب[٢] والتشيؤ والتسليع والضياع والبؤس ... إلخ، والتي شكلت في نظر ماركس المناخ الذي تشكل فيه الوعي الثوري لطبقة العمال؛ لأنَّها هي الطبقة المرشحة التي بإمكانها أنْ تحدث ثورة داخل المجتمع الرأسمالي، لكي تنتهي، وفق النبوءة الماركسية بتقويض كلي ونهائي لعلاقات الإنتاج (المحمداوي ومهنانة، ٢٠١٢م، ص٤٧٧).

[٢] الاغتراب: مفهوم يصف كلًا من عملية ونتائج تبديل ناتج النشاط الإنساني والاجتماعي في ظروف تاريخية معينة، وكذلك تحويل خصائص وقدرات الإنسان إلى شيء مستقل عنها ومتسلط عليه. للمزيد ينظر: بوتومور، توم، مدرسة فرانكفورت، ص١٦٦.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

لقد شكلت الماركسية إذن وجهة للنقد الفرانكفورتي لما كانت تحمله من رغبة في تحرير المستضعفين ومناهضة أشكال الهيمنة والإقصاء واستلاب لجهد العمال التي ترتبت عن الهيمنة الرأسمالية، وهو ما »جعل فلاسفة وعلماء اجتماع هذه المدرسة ينخرطون في جهد نقدي يرمي إلى رصد مختلف الأعراض المرضية التي أصابت عصرنا كالتشيؤ والاغتراب والصنمية، مما حدا بهم إلى أنْ يقيموا نقدًا حادًا ليتوبيا التقدم التقني والنظريات التبشيرية بعالم الأحلام الموعود، كما انتقدوا في حينه النزعة العلموية التي تتصور المعرفة كبيعة موضوعية مجرد عن المصلحة« (مصدق، ٢٠٠٥م، ص١١).

وهذا يعني أنَّ الدراسة الفلسفية لمدرسة فرانكفورت كغيرها من الدراسات الفلسفية الألمانية التزمت بتقليد فلسفي ألماني، وهو تقليد النقد، كنشاط تنظيري ينصب على المنتج الفكري وكممارسة واقعية ترمي إلى دفع الفكر نحو التورط في إشكالية التغيير الاجتماعي (المحمداوي ومهنانة، ٢٠١٢م، ص٤٨٠). و»بناءً على ذلك أرسلت المدرسة منظورًا جديدًا يقوم على فلسفة اجتماعية ترى ذاتها كنظرية نقدية، فعوض أنْ تنخرط بالانتماء إلى المجتمع وتسلم بنظمة، لم تتردد عن نقده والبقاء خارجه، لتقوم بدورها كاملًا في النقد كاشفة عن مصادر العطب الذي يطاله وتتوجه موضوعيًا نحو تغييره« (مصدق، ٢٠٠٥م، ص٢٩).

إنَّ مناهضة الميتافيزيقا، اقتران النشاط الإنساني بالتفلسف، الانخراط في الحركة التاريخية، اتخاذ موقف نقدي إزاء العالم، أدى بمفكري النظرية النقدية إلى الربط بين النظر والعمل، بين الفكر والتاريخ. قد يبدو الأمر استلهامًا للماركسية بهذا الخصوص أو تبنٍ لأطروحاتها القائلة بتحقق الفلسفة في التاريخ بعد تحويل المجتمع الرأسمالي من علاقاته الطبقية إلى الحالة اللاطبقية. لكننا سنرى أنَّ الأمر مختلف تمامًا عند أصحاب النظرية النقدية وأنَّهم أعدوا أنَّ تحولات وتناقضات المجتمع الذي أسسته الحداثة ومقاييس العقلانية لا تستجيب تمامًا لتحليلات ماركس ولا لتنبؤاته (نور الدين، ١٩٩٨م، ص٢١).

وهذا يعني أنَّ مدرسة فرانكفورت وإنْ أعدت مدرسة ماركسية بحكم التأسيس، نظرًا لكون مؤسسيها الأوائل كانوا من المنتمين للماركسية، تاريخيًا، يمكن القول بأنَّ النظرية النقدية تمتد بجذورها إلى الماركسية، عبر حلقات أسبوع العمل الماركسية، التي انبثقت منها فكرة تكوين معهد البحوث الاجتماعية، ومن الواضح أيضًا أنَّ المعهد كان مواكبًا لكافة التطورات في الاتحاد السوفياتي بعد ثورة ١٩١٧م، وأنَّ هوركهايمر حاول أنْ يطبق الماركسية بوصفها فلسفة نقدية على صعيد نظرية المعرفة (بوتومور، ١٩٩٨، ص٢٥-٢٦).

إنَّ منظري مدرسة فرانكفورت قد تأثروا بالماركسية حتى أعد البعض أنَّ هذه المدرسة ليست إلا فرعًا من فروع الماركسية، لكن أصحاب النظرية النقدية وإنْ تبنوا الماركسية كمبدأ أو كمنهج، وهذا ما لاحظناه في مؤلفاتهم، لاسيما بعدما استولى هتلر على السلطة، إذ إنَّ الكثير من المفكرين كانوا يأملون في إمكان الثورة وعلى الرغم من أنَّ هذه الإمكانية يمكن أنْ تكون مجرد حلم أو وهم، ولكن الذي لاشك فيه أنَّ هذا الحلم أو الوهم قد سيطر على أعمالهم بعد عام ١٩٣٣م، في حينها قبلوا بالمنهج الماركسي لأنَّه يجزم بأنَّ المجتمع الأفضل لن يتحقق إلا بالثورة (حسن، ١٩٩٣م، ص١٠٩).

إنَّ ارتباط مدرسة فرانكفورت بالفلسفة المادية لا يمكن إنكاره باعتراف روادها أنفسهم، فنجد ماركيوز في كتابه ((فلسفات النفي)) يؤكد هذا الارتباط، قائلًا: »إنَّ النظرية النقدية حسب معتقد مؤسسيها مرتبطة أساسًا بالمادية ... وهناك عنصران رئيسان يربطان المادية بالنظرية الاجتماعية الصحيحة: الاهتمام بالسعادة الإنسانية والاعتقاد بأنَّ هذه السعادة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق تبديل الظروف المادية للوجود. والمجرى الفعلي للتبديل والمقاييس الرئيسة التي يجب الأخذ بها للوصول إلى تنظيم عقلاني للمجتمع إنَّما يشخصها تحليل للظروف الاقتصادية والسياسية في الموقف التاريخي المحدد« (ماركوز، ٢٠١١م، ص١٤٤).

ويوجد رأي آخر لا يؤمن بتأثير الماركسية في مدرسة فرانكفورت، ويرى بوجوب تبديد سحابة الأسطورة والغموض والارتباط المحيطة بها. فكرة أنَّ المدرسة تمثل توجهًا ماركسيًا في علم الاجتماع تعتمد على معرفة سطحية، والسببان الرئيسان وراء ذلك هما عدم توفر الترجمات الإنجليزية للكتابات الرئيسة والبحث عن علم ((ملائم)) للمجتمع بديلًا للعلم الأكاديمي. علماء الاجتماع الشباب يعتقدون أنَّ العلوم الاجتماعية البديلة قد تكشف النقاب عن تناقضات البنية الاجتماعية وتظهر ما يجب أنْ تكون عوضًا عن وصف ما هو كائن. نأمل أنْ يؤدي التزايد في الترجمات إلى تقييم أكثر واقعية لمدرسة فرانكفورت في العالم الناطق بالإنجليزية (Tarr, 2011, p.٢).

الأثر الفرويدي في مدرسة فرانكفورت

إنَّ الدارس لمدرسة فرانكفورت النقدية والمتتبع لمراحل تطورها عبر أجيالها المختلفة، سيكتشف درجة التعقيد التي تكتنف هذه المدرسة بفعل الحضور القوي لكثير من الأطياف الفلسفية التي مارست تأثيرها وإنَّ بدرجات متفاوتة على ورادها. وعلى الرغم من إشارتنا إلى التأثير الكانطي والهيغلي والماركسي في المدرسة، ولكن لا يخفى إلى اتساع هذا التأثير إلى الناحية السيكولوجية للمدرسة، عن طريق التأثر بأفكار فرويد والاستفادة من التحليل النفسي

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

كمنهج لتفسير كثير من المسائل التي اهتمت المدرسة بمعالجتها إلى درجة أنَّ البعض من المفكرين اعتقد بأنَّه لا يمكن التفكير في أي حركة فلسفية، أو تيار فكري في القرن العشرين خارج الأثر الثلاثي لماركس، نيتشه، وفرويد، وربما تكون النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت قد جمعت هذه الأطياف الثلاثة حزمة واحدة (المحمداوي ومهنانة، ٢٠١٢م، ص٤٩١).

إنَّ متابعة أثر فرويد والتحليل النفسي في الأدوات المنهجية والترسانة المفاهيمية/ النقدية التي اعتمدتها النظرية في نقدها للمجتمع الرأسمالي بصعوبة فصل عنصر الفرويدية عن الماركسية، فكل هذه الأطياف في نظره يمكن قراءتها من زاوية التحليل النفسي، إنَّما أنَّ التحليل النفسي فتح مجالات كانت منغلقة على نفسها، وانفتح عليها بطريقة أخرجت الروح الأكاديمية لـ (معهد البحوث الاجتماعية) عن طورها، لتصبح أكثر منها مؤسسة بحثية، توجهًا عامًا في نقد المجتمع الرأسمالي (المحمداوي ومهنانة، ٢٠١٢م، ص٤٩١).

وفلاسفة النظرية النقدية بعد معاينتهم لانحطاط القيم الفردية داخل المجتمع الصناعي المتقدم، ومن انسحاب لحق الفرد في الاختلاف داخل النظام الفاشستي أولًا، وفي تراتبيات النظام السياسي (المنغلق) للمجتمع الصناعي ثانيًا، حاولوا إعمال العقل لإعادة الاعتبار للفرد والتنشيط الفكر النقدي. وانطلاقًا من هذا الاهتمام عملوا على إعادة قراءة النص الفرويدي على ضوء تحولات المجتمع الصناعي متسائلين عن دلالات الرغبة والتصعيد اللاشعوري وموقع الجنس في آليات الإغراء الحديثة وعلاقتها بالعملية الإنتاجية وعن المعاني الجديدة التي يتخذها الحب (نور الدين، ١٩٩٨م، ص٣٨).

من هذا يتضح أنَّ رواد مدرسة فرانكفورت النقدية جعلوا من التحليل النفسي منهجًا ضروريًا لتحليل المشكلات الفردية التي برزت في المجتمعات الرأسمالية، قصد تشخيصها ومن ثم إيجاد الحلول المناسبة لها، ويعود اهتمام مدرسة فرانكفورت بالتحليل النفسي، إلى مقالة مبكرة لـ فلهم رايخ بعنوان ((المادية الجدلية والتحليل النفسي)) سنة ١٩٢٧م، إذ إنَّه نبه إلى أنَّ التحليل النفسي يختلف جذريًا عن علم الاجتماع أو علم النفس الاجتماعي، وأنَّه يحمل تصورًا ماديًا عن الإنسان بوصفه فردًا، أي أنَّه كتلة غريزية من النزوات متحركة في جدل، تحولات وصيرورات لا متناهية للكينونة، لفردية الإنسان الذي يبدو أنَّه اشتق إنسانيته من نشأة الفردية، وانفصل عن الطبيعة بفعل فرديته، ومن هنا أصبح الاغتراب البُعد الأساسي في الكائن الفرد (المحمداوي ومهنانة، ٢٠١٢م، ص٤٩٢).

سلطت مدرسة التحليل النفسي الضوء على الفردية الإنسانية التي تتأسس على الجانب اللاواعي (اللاشعوري) والذي يؤثر بكل مكوناته على الوعي الإنساني بكل تمظهراته. ونظرًا لهذه الأهمية، فقد برهن هوركهايمر أيضًا، في مقال له عن التاريخ وعلم النفس، نشر في

العدد الأول من صحيفة المعهد، على الرغم من أنَّ علم نفس الفرد يكتسب أهمية متعاظمة في فهم التاريخ (بوتومور، ١٩٩٨، ص٥٢).

وهذا يعني أنَّ رواد مدرسة فرانكفورت من الجيل الأول قد تأثروا بمفاهيم علم النفس ونتائج أبحاثه، وتوظيفها في مختلف دراساتهم ونجد في مؤلفات هؤلاء الرواد إشارات واضحة إلى هذا الأثر، ففي المؤلف المشترك لهوركهايمر وأدرنو ((جدل التنوير)) يقولا فيه: »تبعًا لنظرية التحليل النفسي فهناك ثمة إسقاطات. وإنَّ حصول الإسقاط المرضي مرتبط بتحويل الفرد نزواته على المواضيع، النزوات المحرمة على المجتمع. تحت ضغط الأنا الأعلى، يسقط الأنا على العالم الخارجي كنوايا سيئة النزوات العدوانية التي تأتي من الهواء، وبذلك تنجح بالتخلص منها كردات فعل تجاه العالم الخارجي« (هوكهايمر وأدورنو، ٢٠٠٦، ص٣٢٥). إنَّ وجود مثل هذه الإشارة يوضح حضور الطيف الفرويدي في فكر رواد مدرسة فرانكفورت النقدية.

وفي عام ١٩٣١م كتب إيرك فروم مقالًا حول ((التحليل النفسي والسياسة)) في ((مجلة السيكولوجيا)) أثار سجالًا علميًا واسعًا، إذ كان محاولة لتطوير الفرويدية عن طريق نظرية المعرفة الماركسية. رأى فروم أنَّ الماركسية كانت على خطأ حين أسقطت أهمية العامل السيكولوجي لغريزة التملك، وأنَّ ماركس لم يضع أهمية للمقدمات السيكولوجية مثلما يقوم به هو اليوم. ولهذا فإنَّ الماركسية تحتاج إلى مرجعية سيكولوجية أوسع وإلى حلقة الوصل الضائعة التي تربط البناء الفوقي بالأساس الاقتصادي، وتطوير علم نفس اجتماعي – تحليل يقوم على دراسة أو فهم السلوك المدفوع بباعث غير واع، من طريق تأثير الأساس المادي في الحاجات البشرية الأساسية (المحمداوي ومهنانة، ٢٠١٢م، ص٤٩٢).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الخاتمة

توصلنا في ختام بحثنا إلى أنَّ الأصول الفكرية لمدرسة فرانكفورت تأثرت بالأفكار التي سادت قبل نشأتها كالماركسية والهيغلية والفرويدية، وارتبط هذا التأثير بمن تولى إدارة شؤون ورئاسة هذه المدرسة وشخصياتهم، ويمكننا استخلاص النتائج الآتية:

١.تميزت المرحلة الأولى بسمة ماركسية واضحة، وهذا التوجه الماركسي لا يجب أنْ يفهم بأي معنى سياسي حزبي، ولكن فقط بالمعنى العلمي الأكاديمي.

إنَّ المعهد قد اهتم أساسًا خلال سنوات تكوينه الأولى بتحليل البنى الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع البرجوازي، فقد وجه اهتمامه بعد عام ١٩٣٠م إلى بناه الفوقية الثقافية.

٢.إنَّ الحضور الهيغلي لدى رواد مدرسة فرانكفورت من الجيل الأول، ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو، وإنْ كان هذا الحضور قد امتد ليمس رواد المدرسة من الجيل الثاني ممثلًا في هابرماس وكارل أوتو آبل، ورواد الجيل الثالث للمدرسة ممثلًا في أكسل هونيث.

٣.هناك صعوبة في فصل عنصر الفرويدية عن الماركسية وأنَّ التحليل النفسي فتح مجالات كانت منغلقة على نفسها، وانفتح عليها بطريقة أخرجت الروح الأكاديمية لـ (معهد البحوث الاجتماعية) عن طورها، لتصبح أكثر منها مؤسسة بحثية، توجهًا عامًا في نقد المجتمع الرأسمالي.

٤.أنَّ رواد مدرسة فرانكفورت النقدية جعلوا من التحليل النفسي منهجًا ضروريًا لتحليل المشكلات الفردية التي برزت في المجتمعات الرأسمالية، قصد تشخيصها ومن ثم إيجاد الحلول المناسبة لها.

٥.إنَّ رواد مدرسة فرانكفورت من الجيل الأول قد تأثروا بمفاهيم علم النفس ونتائج أبحاثه، وتوظيفها في مختلف دراساتهم، ونجد في مؤلفات هؤلاء الرواد إشارات أنَّ نصوص المؤلف المشترك لهوركهايمر وأدرنو (جدل التنوير) يوضح حضور الطيف الفرويدي في فكر رواد مدرسة فرانكفورت النقدية.

٦.إنَّ مدرسة فرانكفورت منذ لحظة تأسيسها إلى مراحل تطورها المختلفة، يعود الفضل فيها لروادها من الجيل الأول، ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو وجهدهما الجبار في تأسيس هذه المدرسة الفلسفية والاجتماعية، والمساءلة النقدية لواقع المجتمعات الأوروبية الغربية، فنتج عن هذه العملية النقدية رصد الكثير من التناقضات في هذه المجتمعات. إنَّ مدرسة فرانكفورت النقدية، بمشروعها الفلسفي النقدي، تعد من أبرز المدارس التي كرست جهود أعضائها من الفلاسفة وعلماء الاجتماع لنقد المجتمع قصد كشف تناقضاته، وجعل التغيير الاجتماعي هدفًا لها، والنقد الجذري منهجًا لها.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

٧.هاجمت مدرسة فرانكفورت الفلسفات النسقية؛ لأنَّها قامت على التنظير العقلي دون اكتراث بواقع الإنسان الاجتماعي، وبذلك تكون الفلسفة قد أفرغت من محتواها الحقيقي المتمثل في وظيفتها الاجتماعية ووظيفتها النقدية، وانطلاقًا من ابتعاد الفلسفة عن وظيفتها، دافع رواد مدرسة فرانكفورت على ضرورة إعادة الاعتبار لهذا الدور عن طريق المطالبة بضرورة ربط الفلسفة بالحياة الاجتماعية، لتصبح فلسفة اجتماعية تُعنى بالحياة الاجتماعية للأفراد، أي ربط النظرية بالممارسة.

٨.إنَّ للمشروع الفلسفي والاجتماعي لمدرسة فرانكفورت قيمة كبيرة نظرًا لقوة الأطر المنهجية والمنظومة المعرفية للأفكار النقدية التي طرحها. وما يؤكد أهمية هذه المدرسة هو استمراريتها، بفضل عمليات التطوير والتجديد التي عرفها مشروعها الفلسفي في الجيل الثاني بزعامة هابرماس وكارل أتو آبل، وفي الجيل الثالث مع أكسل هونيث وسيلا بن حبيب.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربية

١. آلن، هاو (٢٠١٠)، النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت، تر: ثائر ديب، دار العين للنشر، القاهرة، ط١.

٢. بسطويسي، رمضان محمد (١٩٩٣)، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت: أدورنو نموذجًا، مطبوعات نصوص ٩٠، القاهرة.

٣. بوبنز، روديجر (د.ت)، الفلسفة الألمانية الحديثة، ترجمة: فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٤. بوتومور، توم (١٩٩٨)، مدرسة فرانكفورت، تر: سعد هجرس، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس الغرب، ليبيا، ط١.

٥. بوشنسكي، إ. م (١٩٧٨)، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١،.

٦. بولتزر، جورج (٢٠٠٥)، مبادئ أولية في الفلسفة، ترجمة: فهيمة شرف الدين، دار الفارابي، بيروت، ط٥.

٧. حسن، محمد (١٩٩٣)، النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١.

٨. حماد، حسن (٢٠٠٣)، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: ماركيوز نموذجًا، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١.

٩. الخوني، محسن (٢٠١٦)، التنوير والنقد (منزلة كانط في مدرسة فرانكفورت)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١.

١٠. الزواوي، بغورة (٢٠٠٩)، ما بعد الحداثة والتنوير، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١.

١١. طاهر، علاء (د.ت)، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هبرماس، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط١.

١٢. لوران، آسون بول (١٩٩٩)، مدرسة فرانكفورت، تر: سعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١.

١٣. ماركوز، هربرت (٢٠١١)، فلسفات النفي: دراسات في النظرية النقدية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١.

١٤. المحمداوي، علي عبود و مهنانة، إسماعيل (٢٠١٢)، مدرسة فرانكفورت النقدية: مدرسة النقدية (جدل التحرر والتواصل والاعتراف)، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، ط١،.

١٥. مصدق، حسن (٢٠٠٥)، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت: النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١.

١٦. مكاوي، عبد الغفار (٢٠١٧)، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: تمهيد وتعقيب نقدي، مؤسسة هنداوي، ط١،.

١٧. نور الدين، أفاية محمد (١٩٩٨)، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس، إفريقيا الشرق، المغرب، ط٢.

١٨. هوركهايمر، ماكس (٢٠٠٦)، بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، ترجمة: محمد علي اليوسفي، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت،.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

١٩. هوكهايمر، ماكس، و أدورنو، تيودور (٢٠٠٦)، جدل التنوير، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١.

٢٠. اليازجي، سعد (٢٠٠٧)، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط١.

المراجع المترجمة

1. Al-Khouni, Mohsen (2016), Enlightenment and Criticism (Kant's Status in the Frankfurt School), Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Syria, 1st edition.
2. Allen, Howe (2010), Critical Theory: The Frankfurt School, Trans.: Thaer Deeb, Al-Ain Publishing House, Cairo, 1st edition.
3. Al-Muhammadawi, Ali Abboud and Mahnana, Ismail (2012), The Frankfurt Critical School: The Critical School (The Controversy of Liberation, Communication, and Recognition), Ibn al-Nadim for Publishing and Distribution, Oran, 1st edition.
4. Al-Yazji, Saad (2007), The Jewish Component in Western Civilization, Arab Cultural Center, Casablanca - Morocco, 1st edition.
5. Al-Zawawi, Baghoura (2009), Postmodernism and Enlightenment, Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing, Beirut, 1st edition.
6. Bastawisi, Ramadan Muhammad (1993), Aesthetics of the Frankfurt School: Adorno as a Model, Texts Publications 90, Cairo.
7. Bottomore, Tom (1998), The Frankfurt School, Trans.: Saad Hagras, Dar Oya for Printing, Publishing and Distribution, Tripoli, Libya, 1st edition.
8. Bushinsky, E. M (1978), Contemporary Philosophy in Europe, Trans.: Izzat Qarni, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1st edition.
9. Hammad, Hassan (2003), The Critical Theory of the Frankfurt School: Marcuse as a Model, Dar Al-Wafa Al-Dunya for Printing and Publishing, Alexandria, 1st edition.
10. Hassan, Muhammad (1993), The Critical Theory of Herbert Marcuse, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, Beirut, 1st edition.
11. Hochheimer, Max, and Adorno, Theodor (2006), The Dialectic of Enlightenment, translated by: George Katoura, United New Book House, Beirut, 1st edition.
12. Horkheimer, Max (2006), The Beginnings of the Bourgeois Philosophy of History, translated by: Muhammad Ali Al-Yousifi, Dar Al-Tanweer for Publishing and Distribution, Beirut,.
13. Laurent, Asson Paul (1999), The Frankfurt School, Trans.: Souad Harb, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 1st edition.
14. Makkawi, Abdel Ghaffar (2017), The Critical Theory of the Frankfurt School: Introduction and Critical Commentary, Hindawi Foundation, 1st edition,.
15. Marcuse, Herbert (2011), Philosophies of Negation: Studies in Critical Theory, translated by: Mujahid Abdel Moneim Mujahid, Dar Al-Kalima Publishing and Distribution Library, Cairo, 1st edition.
16. Mossadegh, Hassan (2005), Jürgen Habermas and the Frankfurt School: Critical Communicative Theory, Arab Cultural Center, Casablanca, 1st edition.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

17. Nour El-Din, Afaya Muhammad (1998), Modernity and Communication in Contemporary Critical Philosophy: Habermas' Model, East Africa, Morocco, 2nd ed.
18. Polzer, George (2005), First Principles in Philosophy, translated by: Fahima Sharaf al-Din, Dar Al-Farabi, Beirut, 5th edition.
19. Poppins, Rüdiger (d.), Modern German Philosophy, translated by: Fouad Kamel, Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, Cairo.
20. Taher, Alaa (D.D.), The Frankfurt School from Horkheimer to Habermas, National Development Center, Beirut, 1st edition.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

1. Cluley, Robert(2022), Martin Parker, Critical theory in use: Organizing the Frankfurt School, Human relations, Vol.1.
2. Jacobs, Jack (2015), The Frankfurt School, Jewish Lives, And Anti-Semitism, Cambridge University Press, U.E.
3. Tarr, Zoltan(2011), Frankfurt School: The Critical Theories of MaxHorkheimer and Theodor W. Adorno, Transaction Publishers, London.
4. Wheatland, Thomas(2009), The Frankfurt School in Exile, The Regents of The University of Minnesota.
5. Wiggershaus, Rolf (1994), The Frankfurt School: It's History, Theories, and Political Significance, Polity Press, U.S.A.